

خصائص النبيّ (ص) في القرآن الكريم/ ج (2)



«تقدّمت الإشارة إلى بعض خصائص النبيّ (ص) في الجزء الأوّل)

- 1- عطاؤه مقرون بعباء الله تعالى. قال سبحانه: (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) (التوبة/ 59).
- 2- ودعوته مقرونة بدعوة الله تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) (النور/ 48).
- 3- ووعدته مقرون بوعد الله جلّ جلاله: قال تعالى: (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (الأحزاب/ 22).
- 4- وقضاؤه مقرون بقضائه تعالى. قال سبحانه: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونُوا لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (الأحزاب/ 36).
- 5- وتوقيفه مقرون بالإيمان بالله تعالى. قال سبحانه: (لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفتح/ 9).
- 6- والحيث منفي عنه وعن الله عزّ وجلّ. قال تعالى: (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْزِفَ اللَّهُ عَلَائِهِمْ) (النور/ 50).
- 7- وهو الذي أرسله الله سبحانه: (بِإِلْهَادِي وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَالَمُ الدِّينِ كُلِّهِ) (الفتح/ 28).
- 8- وهو (ص) أولى بالنبيّ إبراهيم الخليل (ع). قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ الْبَشَرِ لَإِبْرَاهِيمَ)

لِّلَّذِينَ اتَّخَعُوهُ وَهَذَا الذِّيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا (آل عمران/ 68).

9- وهو الذي يؤمن بالله سبحانه وكلماته، قال تعالى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الذِّيُّ الْأُمِّيُّ الذِّي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) (الأعراف/ 158).

10- وهو النبي الأمي، كما دللت عليه نفس الآية الكريمة. وهذا الوصف إمّا بمعنى أنّه من أمّ القرى وهي مكة المكرمة. أو بمعنى أنّه لا يعرف القراءة والكتابة ظاهراً وإن كان يعرفها بعلم النبوة. وذلك قطعاً لإرجاف الكفار والمنافقين في دعوته (ص). أمّا أنّه لم يكتب قبل البعثة حرفاً، فهذا أكيد، ودلّ عليه القرآن الكريم: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرْتَابَ الْمُضِلُّونَ) (العنكبوت/ 48).

وهي دالة على نفي القراءة أيضاً.

11- وهو (ص) المرسل بالحق. قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (فاطر/ 24).

12- وهو (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال تعالى: (الذِّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (الأحزاب/ 6).

13- أزواجه أمّهات المؤمنين. قال تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الأحزاب/ 6).

14- وهو خاتم النبيّين. قال تعالى: (وَلَكِنْ رَسُولٌ آتٍ وَخَاتَمَ الذِّيّينَ) (الأحزاب/ 40)، وهو بمعنى أنّه (ص) خيرهم وأنّه لا نبيّ بعده. كما ورد عنه (ص) وأمّا بمعنى أنّه المسيطر على الأنبياء جميعاً، كسيطرة الخاتم على الإصبع وإحاطته به. بمعنى أنّ دعوته (ص) شاملة لهم جميعاً.

15- إنّ الشرائع السابقة وإن اختلفت عن شريعة الإسلام بالتفاصيل، إلّا أنّها لا تختلف عنها بالمضمون والجوهر. فشريعة الإسلام، التي جاء بها النبي (ص) شاملة للبشر أجمعين حتى قبل البعثة.

قال تعالى: (قَالُوا زَعَمْدُ إِلَهِكَ وَإِلَهِ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًِا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة/ 133).

وقال تعالى: (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا) (الحج/ 78).

وقال سبحانه: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيِّنَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الذاريات/ 36).

وقال جلّ وعلا: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَيَّ الْوَحْيَ ارْزُقْنِي أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا) (المائدة/ 111): (آمَنَّا وَآشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ) (المائدة/ 111).

وكذلك الحال في الجن. قال تعالى: (وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) (الجن/ 14).

16- وهذا يدلّ على أنّ شريعته عامّة للنس والجنّ معاً.

17- وهو الذي بشر به النبي عيسى ابن مريم (ع). قال تعالى على لسانه: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف/ 6).

18- وهو الذي كان يعلم ببعثته علماء بني إسرائيل. قال تعالى: (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْعُزَّهُمُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ) (الشعراء / 197).

19- ولم يعلمه إلا عز وجل الشعر لما فيه من خلصة ونقص في مقامه. قال تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) (يس / 69).

20- وتدلنا هذه الآية على أنَّهُ (ص) عبداً عز وجل. وهذا من أعظم صفاته ومكرّر في القرآن الكريم. وفي الخبر عن الإمام الصادق (ع): "إِنَّهُ اخْتَارَ مُحَمَّدًا عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا". ►

المصدر: كتاب إلا رحمةً للعالمين/ لسلسلة الدروس الثقافية 38